

نستنتج أن الجمعية الفلسطينية الروسية أنشأت معاهدها في هذه البلاد دون أن تساعد الحكومة بشيءٍ بعكس ما رأيناه في أمر المدارس الأوربية الأخرى. وأنها لم تحصل على الوعد بالمساعدة المنظمة القانونية إلا بعد مضي ٣٩ سنة على تأسيسها. هذا شيءٌ عن حالة أوروبا في سورية بسطته للقارئ وله أن يستنتج ما عسى أن يكون مستقبل هذا الوطن الخروب إذا لم تبادر الحكومة إلى إزالة كل ما من شأنه حمل الدول الأوربية على التدخل في شؤوننا. وما هي إلا فاعنة ذلك عن شاء المولى الكريم وهو حسينا ونعم الوكيل.

وطني

الينن وسكانها

٣

خيرات الينن

أجمع جغرافيو العرب أن الينن الخضراء من أخصب القطار وأكثرها مرافق وخيرات حتى قال القرماني أن أهلها يررعون أربع مرات في السنة ويحصد كل زرع في ستين يوماً. وقال بعضهم:

الينن ثلثة وثلاثون منبراً قديمة وأربعة محدثة وصنعاء أطيب البندان وهي طيبة الهواء كثيرة الماء يشنون مرتين ويصيفون مرتين وأهل الحجاز والينن يمطرون الصيف كند ويحصبون في الشتاء فيطر صنعاء وما والاها في حزيران وتموز وآب وبعض أبنول من الزوال إلى المغرب ينقى الرجل الآخر منهم فيقول عجل قبل الغيث لأنه لا بد من المطر في هذه الأيام.

قال ابن الفقيه: وباليسن من أنواع الخصب وغرائب الشجر وظرائف الشجر ما يستصغر ما ينبت في بلاد الأكاسرة والقياصرة وقد تفاخرت الروم وفارس بالبيان وتنافست فيه فعجزوا عن مثل غمدان ومأرب وحضر موت وقصر المسعود وسد لقمان ومنحين وصرواح ومرواح وبينون وهندة وهنيدة وفتوم بريدة.

قال الأصمعي أربعة أشياء قد ملأت الدنيا لا تكون إلا باليسن الورس والكندر والعطر والعصب فأما المعرق من الجزع فإنه يتخذ منه الأواني لكبره وعظمه ولهم الحنل الينانية والثياب المعدية والعدنية والشب اليناني وهو ماء ينبع من قننة جبل فيسيل عنى جانبه قبل أن يصل إلى الأرض فيجمد فيصير هذا الشب اليناني الأبيض ولهم الورس وهو شيء يسقط عنى الشجر كالترنجين ولهم البُنك ويقال أنه من خشب أم غيلان. قال الأصمعي وكانت جمال عمان تحمل الورس من اليسن إلى عمان تصفر.

وذكروا من خصائص قمامة آدم زبيد ونيها الذي لا نظير له كانه لا زورد شروب عدن تفضل عنى القصب ومسد المهجرة يسنى ليفاً وبرود سحولاً والحريب وأنطاع صعدة وركاؤها وسعيدي صنعاء وعقيقها وقفاع عثر وورس عدن ومغلق قرح. ومن أراد العقيق اشترى قطعة أرض بموضع صنعاء ثم حفر فربما خرج له شبه صخرة وقل وربما

لم

يخرج شيء منه. والعنبر يقع عنى حافة البحر من عدن إلى محنا.

قال المقدسي اليسن معدن العصاب والعقيق والأدم الرقيق فإلى عمان يخرج آلات الصيدلة والعطر كنه حتى المسنن والرعفران والساج والتاسم والعاج والنؤلو والديباج والجزع واليواقيت والأبتوس والتارجيل والقند والاسكندروس (لعنه السندروس)

والصبر والحديد والرصاص والخيزران والفضار والصدل والبور والفنقل وغير ذلك
وتزيد عدن بالعنبر والشروب والدرق والحيش والخدم وجنود النور.

مذاهب اليمن

كان عند ظهور الإسلام في اليمن من الديانة النصرانية واليهودية واخوية عني رواية
البلادي وقد كتب الرسول عليه الصلاة والسلام إلى منوك حمر وهم الحارث ابن عبد
كلال ونعيم بن عبد كلال وشرح بن عبد كلال وإلى النعمان قيل ذي رعين ومعامر
وهمدان. وكان اخوس في هجر واليمن. ودخل عامل اليمن في الدعوة الإسلامية قال
ابن خندون وهو باذان عامل كسرى واسلم معه أهل اليمن فأمر النبي صلى الله عليه
وسلم عني جميع مخاليفها وكان منزله صنعاء كرسي التبابعة ولما مات بعد حجة الوداع
قسم النبي اليمن عني عمال من قبند وجعل صنعاء لابنه شهربان بن باذان وقام الأسود
العنسي فأخرج عمال النبي من اليمن وزحف عني صنعاء واستولى عني أكثر اليمن
وارتد أكثر أهد ثم رجع عمال المسلمين إلى أعينهم وقاتل أبو بكر الصديق المرتدين
من أهل اليمن وولى اليمن عمال بني أمية ثم عمال بني العباس لأول أمرهم ثم تعاقبت
الولاية عني اليمن وكانوا يتولون صنعاء حتى انتهت الخلافة إلى المأمون وظهرت دعاة
الطالبيين بالنواحي وظهر باليمن إبراهيم بن موسى الكاظم سنة مائتين ولم يتم أمره
وكان يعرف بالجزار لسفك الدم وبعث المأمون عساكره إلى اليمن فدوخوا حبه وجموا
كثيراً من وجوه الناس فاستقام أمر اليمن فولى محمد زياد عني اليمن ضامناً له حياتهم
من العلويين فقدمها سنة ثلاث ومائتين وفتح قمامة اليمن وهي البلدة التي عني ساحل
البحر الغربي واخط بها مدينة زبيد ونزلاه وأصابها كرمياً لتلك المنكدة وولى عني
الجبيل مولاه جعفرأ وفتح قمامة بعد حروب واشترط عني عرب قمامة أن لا يركبوا

الخليل واستولى عني اليمن أجمع وأدخل في طاعته أعنال حضر موت والشحر وديار كعدة وصار في مرتبة التبابعة.

وكان في صنعاء قاعدة اليمن بنو جعفر من حمير بقية الملوك التبابعة استبدوا بها مقيمين بالدعوة العباسية ولهم من صنعاء سحان ونجران وجرش ولما بلغ عامنها أبا الجيش اسحق ابن إبراهيم قتل المتوكل وخنع المستعين واستبداد الموالي علي الخلفاء مع ارتفاع اليمن ارتفع بالمظلة شان سلاطين العجم المتبدين وفي أيامه خرج باليمن يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي بن إبراهيم بن طباطبا بدعوة الزيدية جاءها من السند وكان جده القاسم قد فر إلى السند بعد خروج أخيه محمد مع أبي السرايا فلحق القاسم بالسند وأعقب بها الحسين ثم ابنه يحيى باليمن سنة ثمان وثمانين (ومائتين) ونزل صعدة وأظهر دعوة الزيدية وزحف إلى صنعاء فملكها من يد اسعد بن يعفر ثم استردها منه بنو اسعد ورجع إلى صعدة وكان شيعته يسنونه الإمام.

وفي أيام أبي الجيش بن زياد أيضاً ظهرت دعوة العبيديين (الفاطميين) باليمن فأقام بها محمد بن الفضل بعده لاعة وجبال اليمن إلى جبال المنبخرة سنة أربعين وثلثائة وبقي له باليمن من الشرجة إلى عدن عشرون مرحلة ومن مخالفة إلى صنعاء خمس مراحل وهناك أبو الجيش سنة لإحدى وسبعين وثلثائة بعد أن اتسعت جبايته وعظم منكه قال ابن سعيد رأيت مبلغ جبايته وهو ألف ألف مكررة مرتين وثلثائة وستة وستون ألفاً من الدنانير العثرية ما عدا ضرائب علي مركب السند وعلي العبر الواصل بباي المنذب وعدنابن وعلي مفاصل النولز وعلي جزيرة دهلك ومن بعضها وصائف وكانت منوك الحبشة من وراء البحر يهادنوه ويخطبون مواصته وانقرضت دولته سنة سبع وأربعمائة.

ثم منك نجاح وقيس من موالي مرجان مولى الحسن بن سلامة وتغلب نجاح بعد أن قتل أخاه في خمسة آلاف من عسكره وضرب السكة باسمه وكتب ديوان الخلافة ببغداد ففقد له عني اليمن ولم يزل مالكاً تمامة وقاعدته زبيد قاهراً لأهل الجبال وانتزع الجبال كلها من مولاة الحسن بن سلامة ولم تزل المنوك تنقي صولته إلى أن قتله الصليحي القائم بدعوة العبيديين سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة فقام الأمر بعده بزبيد مولاة كهلان.

أما الصليحي فكان مبدأ أمره مثل السيد أحمد بن إدريس الذي كان قائماً في عسير في السنة الماضية عرف بالصلاح فالتف الناس حوله وأظهر اندعوة العبيدية فاستولى أولاً عني حصن بذورة جبل الحنام محصن ذلك الحصن ثم منك اليمن كله ونزل صنعاء واختلط بها القصور واسكن عنده منوك اليمن الذين غلب عليهم وهزم بني طرف منوك عشر وتمامة وما زال الأمر كذلك حتى استولى بنو أبي بركات عني بني المظفر في شيع وحصونه ثم باع حصن ذي جبلة من الداعي الزريعي صاحب عدن بمائة ألف دينار ولم يزل يبيع معاقده حصناً حصناً حتى لم يبق له غير معقل تعز أخذته منه عني بن مهدي وبقي منوك زبيد يخطبون للعباسيين والصليحيون يخطبون للعبيديين إلى أواخر المئة الخامسة والبلاد يتجاذبها منوك حتى انقرض أمر آل نجاح سنة ٥٥٤ وخلفهم غيرهم وبقي أمر اليمن في تقلقل والجبال لرجل وتمامة لآخر وعدن لغيرهم حتى جاء عبد النبي بن مهدي الخارجي من زبيد واستولى عني اليمن أجمع وبه يومئذ خمس وعشرون دولة فاستولى عني جميعها ولم يبق له سوى عدن ففرض عليها الجزية ولما دخل شمس الدولة تورانشاه بن أيوب أخو صلاح الدين سنة ٥٦٦ واستولى عني الدولة التي كانت باليمن ونزل زبيد واتخذها كرسياً لمنك ثم استرحمها وسار في الجبال

ومعد الأطباء يتخير مكاناً صحيح الهواء يتخذ فيه سكناه فرقع اختيارهم على مكان تعز
فاختلط به المدينة كما اختلط الصريح سنة ٤٥٨ حصن ذي جنة ونزلها وبقيت
كرسياً لمنكده وبنيه ومواليهم بني رسول.

وذكر ابن سعيد أن اليمن تشتمل على سبعة كراسي لسنك قهامة والجبال وفي قهامة
ممنكتان ممنكة زبيد وممنكة عدن ومعنى قهامة ما انخفض من بلاد اليمن مع ساحل البحر
من اليرين من جهة الحجاز إلى آخر أعمال عدن دورة البحر الهندي واليمن أخصب
من الحجاز وأكثر أمنها القحطانية وفيها من عرب وائل ودامت دولة بني رسول باليمن
على رواية ابن إياس نحو مائتين وثلاثين سنة وكان سبب تسمية جدهم برسول أن
الخنفاء كانت تبعته رسولاً إلى البلاد الشامية وغيرها من البلاد فسي رسولاً وما زال
يرتقي حتى منك بلاد اليمن.

ذكر المقدسي أن المذاهب المستعملة لعهدده في الإسلام التي لها خاص وعام دعاء وجمع
ثمانية وعشرون مذهباً أربعة في الفقه وأربعة في الكلام وأربعة في الحكم فيها وأربعة
مندسة وأربعة في الحديث وأربعة غلب عليها أربعة وأربعة رستاقية فأما الفقهيات
فالحنفية والمالكية والنعوية والداودية وأما الكلاميات فالعزلة والنجارية والكلابية
والسالية وأما الذين لهم فقه وكلام فالشيعة والخوارج والكرامية والباطنية وأما
أصحاب

الحديث فالحنفية والراهوية والأوزاعية والمذرية وأما المندسة فالعطائية والثورية
والإباضية والطاقية وأما التي في الرستاق فالزعرانية والخرمدينية والأبضية
والسرخسية وأما التي غلب عليها أربعة من شكلها فالأشعرية على الكلابية والباطنية
على القرمطية والمعتزلة على القدرية والشيعة على الزيدية والجهنية على النجارية.

فهذه جملة المذاهب المستعملة اليوم (في عهد المؤلف) ثم تتشعب إلى فرق لا تحصى ولما ذكرنا ألقاب واسماء تكرر ولا تزيد على ما ذكرنا يعرف ذلك العناء ومن أربعة متدحة وأربعة منكورة وأربعة مختلف فيها وأربعة لقب بها أهل الحديث وأربعة معناه من واحد وأربعة يميزهن النجارية فأما المنقبة بالروافض والخبرة والمرجئة والشكاك أو المتدحة فأهل السنة والجماعة وأهل العدل والتوحيد والمؤمنون وأصحاب الهدى وأما المنكورة فالكلابية ينكرون الجير والحنفية ينكرون النصب وينكرو الصفات ينكرون التشيد ومثوبها ينكرون التعطيل وأما المختلف فيها فعند الكرامية الجير جعل الاستطاعة مع الفعل وعند المعتزلة جعل الشر بقدر الله تعالى وأن يقال أفعال العباد مخلوقة لله والمرجئة عند أهل الحديث من آخر العمل عن الإيمان وعند الكرامية من نفى فرض الأعمال وعند الأمونية من وقف في الإيمان وعند أصحاب الكلام من وقف في أصحاب الكبار ولم يجعل منزلة بين منزلتين والشكاك عند أصحاب الكلام من وقف في القرآن وعند الكرامية من استثنى في الإيمان والروافض عند الشيعة من آخر خلافة علي وعند غيرهم من نفى خلافة العيرين وأما أربعة معناه من واحد فالزعفرانية والواقفية والشكاك والرساقية وأما أربعة لقب بها أهل الحديث فالحنفية والشكاك والنواصب والخبرة وأما التي يميزهن كل تحرير فأهل الحديث من الشفقوية والثورية من الحنفية والنجارية من الجهوية والقدرية من المعتزلة.

قال واعلم أن أصل مذاهب المسلمين كلها متشعبة من أربع الشيعة والخوارج والمرجئة والمعتزلة وأصل افرأقهم قتل عثمان ثم تشعبوا ولا يزالون متفرقين ولم أر السواد العظيم إلا من أربعة مذاهب أصحاب أبي حنيفة بالمشرق وأصحاب مالك بالمغرب وأصحاب

الشافعي بالشاشي وخرزائن ونيسابور وأصحاب الحديث بالشام وأقور والرحاب وبقية الأقاليم ممتزجون.

وقال أيضاً أن اليمن قنبل الفقهاء والمذكرين والقراء كما هو قنبل النخيل والمياه الغزيرة والبحيرات واليهود به أكثر من النصارى ولا ذمة غيرهم وسواد صنعاء ونواحيها مع سواد عمان شراة غالية وبقية الحجاز واهلب الرأي بعنان وهجر وصعدة شيعة وشيعة عمان وصعدة وأهل السروات وسواحل الحرمين معتزلة إلا عمان والغالب عنى صنعاء وصعدة أصحاب أبي حنيفة والجوامع بأيديهم وبالمعافر مذهب أبي المنذر وفي نواحي نجد اليمن مذهب سفيان والأذان بتهمامة ومكة يرجع إذا تدبرت العسل عنى مذهب مالك ويكبر بزبيد في العيدين عنى قول أبي مسعود أحدته القاضي أبو عبد الله الصعوي وقت كوفي ثم العسل بهجر عنى مذهب القرامطة وبعنان وأودية لهم مجنس. ويؤخذ مما قاله المهدي أن أهل عدن فيما يقال لم يدخل عليهم من الروم حد ولكن أهل الرهانية ثم فنوا سكانها مهرة وقوم من الشراة وظهرت فيها دعوة الإسلام ثم كثر بها الشراة فعدوا عنى من بها من المسلمين فقتلهم غير عشرة أناسية.

الزيدية

والزيدية هم اتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي عليه السلام ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة عنىها السلام ولم يجوزوا ثبوت إمامة في غيرهم إلا أقسم جوزوا أن يكون كل فاطمي عالم زاهد شجاع سخي خرج بالإمامة أن يكون إماماً واجب الطاعة سواء كان من أولاد الحسن أو من أولاد الحسين اللذين وعن هذا طائفة منهم بإمامة محمد وإبراهيم الإمامين ابني عبد الله بن الحسن بن الحسين اللذين خرجا في أيام المنصور وقتلا عنى ذلك وجوزوا خروج إمامين في قطرين يستجعلان هذه الخصال ويكون كل

واحد منهما واجب الطاعة واقتبس زيد بن علي مذهب الاعتزال فصار أصحابه كنهم معتزلة وكان من مذهب جواز إمامة المفضول مع قيام الفضل فقال كوان علي بن أبي طالب أفضل الصحابة إلا أن الخلافة فوضت إلى أبي بكر لمصلحة رأوها وقاعدة دينية راعوها من تسكين نائرة الفتنة تطيب قلوب العامة فإن عهد الحروب التي جرت في أيام النبوة كان قريباً وسيف أمير المؤمنين علي عليه السلام عن دماء المشركين من قريش لم يحف بعد والضغائن في صدور القوم من طنب الثأر كم هي فيما كانت القلوب تميل إليه كل الميل ولا تنقاد له الرقاب كل الانقياد وكانت المصلحة أن يقوم بهذا الشأن من عرفوه بالدين والتودد والتقدم بالسنة والسبق في الإسلام والقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا ترى أنه لما أراد في مرضه الذي مات فيه تقنين الأمر عمر ابن الخطاب رضي الله عنه زعق الناس وقالوا لقد وليت علينا فظاً غليظاً فيما كانوا يرضون بأمر المؤمنين عمر لشدة وعلايته وغلظه له في الدين وفضاظة علي العدا حتى سكنهم أبو بكر رضي الله عنه وكذلك يجوز أن يكون المفضول إماماً والفضل قائماً فيرجع إليه في الأحكام ويحكم بحكمته في القضايا.

ولما قتل زيد بن علي وعلب قام بالإمامة بعده يحيى بن زيد ومضى إلى خراسان واجتمعت عنده جماعة كثيرة وخرج محمد وإبراهيم بالمدينة والبصرة واجتمع عندهما الناس فقتلا ثم رأوا أنه لا يجوز خروج واحد من أهل البيت حتى يأذن الله تعالى بزوال ملك بني أمية الذين يتناولون عنى الناس حتى لو طاولتهم الجبال لظالوا عندها وهم يستشعرون بغض أهل البيت فقتل زيد بن علي بكناسة الكوفة قتله هشام بن عبد الملك ويحيى بن زيد قتل بجوزجان خراسان قتله أميرها ومحمد الإمام قتله بالمدينة عيسى بن همام وإبراهيم الإمام قتل بالبصرة أمر يقتلهما المنصور.

ولم ينتظم أمر الزيدية بعد ذلك حتى ظهر بخراسان ناصر الأطروش فطلب مكانه ليقتل
فاختفى واعتزل إلى بلاد الديلم والجيل لم يتحنوا بدين الإسلام بعد فدعها الناس دعوة
إلى الإسلام عني مذهب زيد بن عني فدانوا بذلك ونشأوا عليه وبقيت الزيدية في تلك
البلاد ظاهرين وكان يخرج واحد بعد واحد من الأئمة وبني أمرهم وخالفوا بني
أعمامهم من الموسوية في مسائل الأصول ومالت أكثر الزيدية بعد ذلك عن القول
بإمامة الفضول وطعت في الصحابة طعن الإمامية وهم اصناف ثلاث جارودية
وسنيانية وبترية والصالحية منهم والبترية عني مذهب واحد.

وقال صاحب الفرق بين الفرق أن الزيدية ثلاث فرق وهي الجارودية والسنيانية وقد
يقال الحرورية أيضاً والبترية وهذه الفرق الثلاث طبعها القول بإمامة زيد بن عني
بن الحسين بن عني بن أبي طالب في أيام خروجه وكان ذلك في أيام هشام بن عبد
الملك ويذهب الجارودية أولاً إلى أتباع المعروف بأبي الجارود وقد زعموا أن النبي صلى
الله عليه وسلم نص عني إمامة عني بالوصف دون الاسم وزعموا أيضاً أن الصحابة
كفروا بتركهم بيعة عني وقالوا أيضاً أن الحسن بن عني هو الإمام من بعد عني ثم
أخوه الحسين

كان إماماً بعد الحسن. وافترقت الجارودية في هذا الترتيب فرقتين فرقة قالت أن عنياً
نص عني إمامة ابنه الحسن ثم نص الحسن عني إمامة أخيه الحسين بعده ثم صارت
الإمامة بعد الحسن والحسين شورى في ولدي الحسن والحسين فمن خرج منهم شاهراً
سيفه داعياً إلى دينه وكان عالماً ورعاً فهو الإمام وزعمت الفرقة الثانية منهم أن النبي
صلى الله عليه وسلم الذي نص عني إمامة الحسن بعد عني وإمامة الحسين بعد الحسن
ثم افترقت الجارودية بعد هذا في الإمام المنتظر فرقة منهم لم يعين واحداً بالانتظار وقال

كل من شهر سيفه ودعا إلى دينه ولد الحسن والحسين فهو الإمام ومنهم من ينتظر محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب ولا يصدق بقتله ولا بموته ويزعم أنه هو المهدي المنتظر الذي يخرج فيملك الأرض وقول هؤلاء فيه كقول الخنذية من الإمامية في انتظارها محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي ومنهم من ينتظر محمد بن عمر الذي خرج بالكوفة ولا يصدق بقتله ولا بموته فهذا قول الجارودية وتكفيرهم واجب لتكفيرهم أصحاب رسول الله عليه السلام.

ذكر السنانية أو الجويرية منهم هؤلاء أتباع سليمان بن جوير الزيدي الذي قال أن الإمامة شوري وأنها تعقد بعقد رجلين من خيار الأمة وأجاز إمامة المفضول واثبت عنامة أبي بكر وعمر وزعم أن الأمة تركت الصنح في البيعة لهما لأن علياً كان أولى بالإمامة منها إلا أن الخطأ في بيعتهما لم يتوجب كفراً ولا فسقاً وكفر سليمان بن جوير عثمان بالأحداث التي نقيها الناقصون منه وأهل السنة يكفرون سليمان بن جوير من أجل أن كفر عثمان رضي الله عنه.

وذكر البترية منهم فقال هؤلاء أتباع رجلين أحدهما الحسن بن صالح بن حي والأخر كثير المعوا الملقب بالآبتر وقولهم كقول سليمان بن جوير في هذا الباب غير أنهم توقفوا في عثمان ولم يقدموا على دمه ولا على مدحه وهؤلاء أحسن حالاً عند أهل السنة من أصحاب سليمان بن جوير وقد أخرج مسلم بن الحجاج حديث الحسن بن صالح بن حي في مسنده الصحيح ولم يخرج محمد بن إسماعيل البخاري حديث في الصحيح ولكنه قال في كتاب التاريخ الكبير الحسن بن صالح بن حي الكوفي سمع سماك بن حرب ومات سنة سبع وستين ومائة وهو من ثغور همدان وكنيته أبو عبد الله.

قال عبد القاهر: هؤلاء البترية والسنيانية من الزيدية كنهم يكفرون الجارودية من الزيدية لإقرار الجارودية عنى تكفير أبي بكر وعمر والجارودية يكفرون السنيانية والبترية لتركها تكفير أبي بكر وعمر وحكي شيخنا أبو الحسن الشعري في مقالته عن قوم الزيدية يقال لهم اليعقوبية أتباع رجل اسمه يعقوب أنهم كانوا يتولون أبا بكر وعمر ولكنهم لا يتبرؤون ممن تبرأ منهم.

قال عبد القاهر اجتمعت الفرق الثلاث الذين ذكرناهم من الزيدية عنى القول بأن أصحاب الكاثر من الأمة يكونون مخلصين في النار فهم من هذا الوجه كالخوارج الذين أياموا أسراء المذنبين من رحمة الله تعالى ولا يئأس من روح الله إلا القوم الكافرون.

إنما قيل لهذه الفرق الثلاث واتباعها زيدية لقولهم بغمامة يد بن عني بن الحسن ابن عني بن أبي طالب في وقته وإمامة ابنه يحيى بن زيد بعد زيد. وكان زيد بن عني قد بايعه عنى غمامته خمسة عشر ألف رجل من أهل الكوفة وخرج بهم عنى والي العراق وهو يوسف بن عمر الثقفي قالوا له إننا نصرك عنى أعدائك بعد أن تخبرنا برأيك في أبي بكر وعمر اللذين ظننا جدارك عنى بن أبي طالب فقال زيد إني لا أقول فيها إلا خيراً وما سمعت أبي يقول فيها إلا خيراً وإنما خرجت عنى بني أمية الذين قتلوا جدي الحسين واغاروا عنى المدينة يوم الحرة ثم رموا بيتاً لله بحجر المنجنيق والنار ففارقوه عند ذلك حتى قال لهم رفضوني ومن يومئذ رافضة وثبت معه نصر بن حريرة العنسي ومعاوية ابن اسحق بن يزيد بن حارثة في مقدار مائتي رجل وقتلوا جند يوسف بن عمر الثقفي حتى قتلوا عن آخرهم وقتل زيد ثم نبش قبره وصنبت ثم أحرق بعد ذلك وهرب ابنه يحيى ابن زيد إلى خراسان وخرج بناحية الجوزجان عنى نصر بن بشار والي خراسان

فبعث نصر ابن يشار إليه سلم بن أحوز المازني في ثلاثة آلاف رجل فقتلوا يحيى بن زيد ومشهده بجوزجان معروف.

هذا منشأ مذهب الزيدية باليمن وغيرها قال ابن فضل الله: إمام الزيدية باليمن وهو من بقايا الحسين القائمين بآمل الشط من بلاد طبرستان وقد كان سلفهم جاذب الدولة العباسية حتى كاد يطيح رداءها ويثنت بها أعدائها. وهذه البقية الآن بصنعاء وبلاد حضر موت وما والاها من بلاد اليمن وأمراء مكة تسر طاعته ولا تفارق جماعته والأمانة الآن فيهم من بني المطهر واسم الإمام القائم في وقتنا حمزة ويكون بينه وبين المثلث الرسولي باليمن مهادنات ومفاسخات تارة وتارة وهذا الإمام وكل من كان قبله عنى طريقة ما عداها وهي إمارة عربية لا كبر في صدورهم ولا شتم في عرائضهم وهم عنى مسكة من القوى وترد بشعار الزهد يجنس في ندي قومه كواحد منهم ويتحدث فيهم ويحكم بينهم سواء عنده المشرف والشريف والقوي والضعيف وربما اشترى سعة بيده ومشى في أسواق بلده لا يغط الحجاب ولا يكل الأمور إلى الوزراء والحجاب يأخذ من بيت المال قدر بلغته من غير توسع ولا تكتر غير مشيع هكذا هو وكل من سنف قبله مع عدل شامل وفضل كامل اهـ.

نعم جاذب القوم الدولة العباسية كما قال العمري حتى كادوا يطيحون رداءها وكذلك فعلوا من بعد إلى عهدنا هذا وذلك شيء ناشئ ولا جرم من جودة هواء الجبال لأن الشدة تعرس في العادة نفوس الجنيين وما سكان الجبال من اليمانيين إلا أشبه بالافريديين عنى حدود الهند وأفغانستان ولقد أوى الزيدية إلى الجبال كما أوى معظم أصحاب الدعوات إليها هكذا فعل الإسماعيلية والنصيرية فأزوا إلى جبل النكाम

والدروز إلى جبل الشوف والجبل الأعنى وجبال صفد وجبال حوران والشيعية المتأولة إلى جبل عامل وجبال بعينك ولبنان من أرض الشام.

قال بعضهم صعدة ملكتها تنو مملكة صنعاء وهي في شرفها وفي هذه المنيكة ثلاث قواعد صعدة وجبل قطاية وحصن تلا وحصون أخرى وتعرف كلها بيني الرس وأما حصن تلا فنه كان ظهور الموطن الذي أعاد إمامة الزيدية لبني الرضا بعد أن استولى عليها بنو سنيان فأوى إلى جبل قطاية ثم بايعوا لأحمد الموطن سنة خمس وأربعين ومستمائة.

وقال ابن فضل الله أيضاً في الزيدية: وأما الزيدية فهم أقرب القوم إلى القصد الأمامي وقولهم أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما أئمة عدل وأن ولايتهما كانت لما اقتضته المصلحة مع أن علياً رضي الله عنه أفضل منهما ويرون جواز ولاية المفضول عني الفاضل في بعض الأحيان لما تقتضيه المصلحة أو لخوف الفتنة ولهذا الطائفة إمام باق إلى الآن باليمن وصنعاء داره وأمراء مكة المعظمة منهم وحدثني الشريف مبارك بن الأمير عطفة بن أبي نمي أنهم لا يدينون إلا بطاعة ذلك الإمام ولا يرون إلا أنهم نوابه وغنا يتوقون صاحب مصر لخوفهم منه والإقطاع (؟) وصاحب اليمن لمداراته لوصل المكارم ورسوم وكانت لهؤلاء دولة قديمة بطبرستان فزالت إلا هذه البقية.

وقال ابن خلدون فأما الزيدية فساقوا الإمامة عني مذهبهم فيها وإنما باختيار أهل الحل والعقد لا بالنصر فقالوا بإمامة عني ثم ابنه الحسن ثم أخيه الحسين ثم ابنه عني زين العابدين ثم ابنه زيد بن عني وهو صاحب هذا المذهب وخرج بالكوفة داعياً إلى الإمامة فقتل وصنّب بالكناسة وقال الزيدية بإمامة ابنه يحيى من بعده فنصى إلى خراسان وقتل بالجوزجان بعد أن أوصى إلى محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين السبط ويقال له

النفس الزكية فخرج بالحجاز وتلقب بالهدي وجاءته عساكر المنصور فقتل وعهد إلى أخيه إبراهيم فقام بالبصرة ومعه عيسى بن زيد بن علي فوجه إليهم المنصور عساكره فيهم وقتل إبراهيم وعيسى وكان جعفر الصادق أخيرهم بذلك كنه وهي معدودة في كراماته وذهب آخرون منهم إلى أن الإمام بعد محمد بن عبد الله النفس الزكية هو محمد بن القاسم بن علي بن عمرو هو أخو زيد بن علي فخرج محمد بن القاسم بالطلالقان فقبض عليه وسبق إلى المعصم فحبسه ومات في حبسه وقال آخرون من الزيدية أن الإمام يحيى بن زيد هو أخوه عيسى الذي حضر مع إبراهيم بن عبد الله في قتاله مع منصور ونقلوا الإمامة في عقبه وإليه انتسب دعي الزنج وقال آخرون من الزيدية أن الإمام بعد محمد ابن عبد الله أخوه إدريس الذي فر إلى المغرب ومات هناك وقام بأمره ابنه إدريس واحتط مدينة فاس وكان من بعده عقبه ملوكاً بالمغرب إلى أن انقرضوا وبقي أمر الزيدية بعد ذلك أمر غير منتظم وكان منهم الداعي الذي منك طبرستان وهو الحسين بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن علي بن الحسين السبط أخوه محمد ابن زيد ثم قام بهذه الدعوة في الدينم الناصر الطروش منهم وأمنوا على يده وهو الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمرو وعمرو أخو زيد بن علي فكانت بني بطبرستان دولة وتوصل الدينم من نسبهم إلى المنك والامتداد على الخلفاء ببغداد.

ذوكر ابن ساعد من جملة فرق الشيعة الزيدية القائلين بإمامة زيد بن علي بن الحسين وعصامة من اجتمع فيه العلم والزهد والشجاعة ظاهراً وهو من ولد فاطمة رضي الله عنها ويخرج لطلب الإمامة ومنهم من زاد صراحة الوجد وأن لا يكون مؤوقاً ويجوزون

قيام إمامين معاً بمكانين ومن رفض زيداً هذا أطلق عليهم اسم الرافضة أولاً وهؤلاء
الذلات طوائف من الشيعة أعني الإمامية والإسماعيلية والزيدية هم رؤوس فرقهم.
قال ابن حزم اتفقت الأمة كلها على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلا
خلاف من أحد منهم لقول الله تعالى ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر ثم اختفوا ثم اختفوا في كفيته فذهب بعض أهل السنة
من القدماء من الصحابة رضي الله عنهم فمن بعدهم إلى أن الغرض من ذلك إنما هو في
القتل فقط أو بالنسيان إن قدر على ذلك ولا يكون باليد ولا بسل السيف ووضع
السلاح أصلاً وبهذا قالت الروافض كنهم ولو قتلوا كنهم إلا أنها لم تر ذلك ما لم يخرج
الناطق فإذا خرج وجب سل السيف حينئذ معه وإلا فلا واقتدى أهل السنة بعثمان
وغيره من الصحابة وبمن رأى لعود منهم إلا أن جميع القائلين بهذه المقالة من أهل
السنة إنما رأوا ذلك ما لم يكن عدلاً فإن كان عدلاً وقام عليه فاسق وجب عندهم بلا
خلاف سل السيف مع الإمام العادل. وذهبت طوائف من أهل السنة وجميع الخوارج
والزيدية إلى أن سل السيف في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب إذا لم يكن
دفع المنكر إلا بذلك قالوا فإذا كان أهل الحق في عصاة يمكنهم الدفع ولا يأسون من
الظفر ففرض عليهم.

وبعد فإن شيعة علي رضي الله تعالى عنه زيدي ورافضي وبقيةهم بددوا نظام لهم قالت
عصاة الزيدية وجدنا الفضل في الفعل دون غيره ووجدنا الفعل كنه في أربعة أقسام
أولها القدم في الإسلام حين لا رغبة ولا رهبة إلا من الله تعالى وإليه ثم الزهد في الدنيا
فإن أزهدهم الناس في الناس أرغبتهم في الآخرة وأمنهم على نفاس الأموال وعقائل
النساء وإراقة الدماء ثم الفقه الذي يعرف به الناس مصانع دينهم ومرشد دينهم ثم

المشي في السيف كفاحاً في الذب عن الإسلام وتأسيس الدين وقتل عدوه وإحياء وليه
فيس فوق بذل المهجة واستعراق القوة غاية يطبها طالب أو يرتجها راغب ولم نجد
قولاً خامساً فتذكره فلنا رأينا هذه الخصال مجتمعة في رجل دون الناس كنهم وجب
عينا تفضيله عنهم وتقديمه دولهم. وذاك إنا سألنا العناء والفقهاء وأصحاب الأخبار
وحال الآثار عن أول الناس إسلاماً فقال فريق منهم من هذه عني وقال قوم زيد بن
حارثة وقال قوم خباب ولم نجد قول كل واحد منهم من هذه الفرق قاطعاً لعذر صاحبه
ولا ناقلاً عن مذهبه وإن كانت الرواية في تقديم عني أشهر والنفظ به أكثر وكذلك إذا
سألناهم عن الدابن في الإسلام والماشي إلى الأقران في بسوفهم وجدناهم مختلفين فمن
قاتل يقول عني رضي الله تعالى عنه ومن قاتل يقول ابن عفران ومن قاتل يقول محمد بن
مسند ومن قاتل يقول طنحة ومن قاتل يقول البراء بن مالك عني أن لعني من قتل
الأقران ما ليس فيهم فلا أقل من أن يكون عني في طبقتهم وإن سألناهم عن الفقهاء
والعناء رأيناهم يعدون عني ممن كان أفقههم لأنه كان يُسأل ولا يسأل ويفتي ولا
يستفتي ويحتاج إليه ولا يحتاج إليهم ولكن لا أقل من أن نجده في طبقتهم وكأحدهم
وإن سألناهم عن أهل الزهادة وأصحاب التقشف والمعروفين برفض الدنيا وحنعها
والزهد فيها قالوا عني وأبو الدرداء ومعاذ بن جبل وأبو ذر وعنار وبلال وعثمان بن
مظعون عني أن عني أزهدهم لأنه شاركهم في خشونة المنس وخشونة المأكول والرضا
بالبسر والتبغ بالحقير وظنن النفس ومخالفة الشهوات وفارقهم بان منن بيوت
الأموال ورقاب العرب والعجم فكان ينضح بيوت المال في كل جمعة ويصلي فيه
ركعتين ورفق سراويله ما فضل من ردايه عن أطراف أصابعه بالشفرة في أمور كثيرة مع
أن زهده أفضل من زهدهم لأنه أعنم منهم وعبادة العالم ليست كعبادة غيره كنا أن

زلته ليست كزلة غيره فلا اقل من أن نعدده في طبقتهم ولا نجدهم ذكروا لأبي الدرداء وأبي ذر وبلال مثل الذي ذكروا له في باب الغناء والذب وبذل النفس ولم نجدهم ذكروا للزبير وابن عفراء وأبي دجانة والبراء بن مالك مثل الذي ذكروا له من التقدم في الإسلام والزهد والفقہ ولم نجدهم ذكروا لبي بكر وزيد وخباب مثل الذي ذكروا له من بذل النفس الغناء والذب بالسيف ولا ذكروهم في طبقة الفقهاء والزهاد فلما رأينا هذه الأمور مجتمعة فيه مخرقة في غيره من أصحاب هذه المراتب وهذه الطبقات عندنا أن أفضلهم وإن كان كل رجل منهم قد اخذ من كل خير بنصيب فإنه لم يبلغ ذلك مبلغ من قد اجتمع له جميع الخير وصنوفه. قال الحافظ بعد كلام عني هذا النحو وإنما قصدت إلى هذا المذهب دون مذهب سائر الزيدية في دلالتهم وحججهم لأنه أحسن شيء رأيت له وإنما أحكي لك من كل ثمرة قول حذاقهم وذوي أحوالهم لن فيه دلالة عني غيره وعني عما سواه.

الخاتمة

تبين للنقارئ من هذا البحث كيف كانت اليمن وكيف كان سكانها وما هي مذاهبهم وما نحال أن الداعي إلى كل ما وقع الفتن سوى المظالم التي دكت العمران أذعر بها السكان وهذا واقع بهم منذ القرون الوسطى إلى اليوم وقد أصابهم منه في عهد الدولة العنيفة ما لم يصب معظم الولايات لبعده ديارهم في القاصية ولأنه لم يكن يقدم عني الخدمة هناك من جيش الدولة وعما لها إلا من جعل الاغتناء بأي طريقة أول همه وهمامة نفسه.

قال المقبلي اليمني: ولقد حكى عن باشا من أمراء الروم يسمى سناناً في صنعاء حين وطأهم اليمن وخبره أشهره واكبر قد أنسى أهل اليمن ضرب المثل بالحجاج وصار

عنا لنظلم والفتك كأنه مولع بفتك الدماء والغنق فيه بالسبح والصنب والخنق والكرباج فيينا هو في خاصته يتأوه ويستهل إلى الله في طنب المخرج من نفس مسلم قتله في الروم إذ قبل له هؤلاء الجماعة الذين أرسلت لهم فأشار أن اقتلوه من دون أكثرات ولا نظر ولا استبانت في شأنهم فقال له بعض الحاضرين في ذلك فقال إنما أتأوه من قتل مسلم محترم وهؤلاء زيدية يحل دماؤهم إلى أن قال وكنت أن هذا شيء نادر في سنان المشؤم وجماعة قليذين وإذا هو مطبق عليه في من هو في دولة الأروام كان هذا شيء يتبع الدولة وكأنها نسخت الشريعة اهـ. كذا قال وهو على غنق فيه لا يخنو من حقيقة تاريخية فقد أثر عن الولاة المتأخرين أعمال كهذه يتناقضها اليمانيون بينهم ويدونوها في أخبارهم ولذلك قلنا رأينا يمانياً ثاب إلى سكونه فعسى أن تعرف حكومتنا الحاضرة كيف تؤكل الكتف تمسك تأمة تلك الشرور المستطيرة قروناً في ممنكو التبابعة وحمير.

تاريخ الحضارة

في القرون الوسطى والقرون الحديثة

أصول الحضارة

الأثار قبل التاريخ - تجده في الأرض أحياناً دفائن من سلاح وأدوات وعظام بشرية وبقايا من كل نوع تركها البشر ولا يعلم عنها شيء ويستخرج منها ألوف من الأنواع في جميع ولايات فرنسا وسويسرا وإنكلترا بل في أوربا كلها بل يستخرج منها من آسيا وأفريقية ولا شك أن لها مثلاً في العالم كند. وتسمى هذه البقايا آثار ما قبل التاريخ لأنها أقدم من التاريخ ومنذ نحو أربعين سنة أخذ العلماء يجمعونها أو يدرسونها. ولعظم المتاحف اليوم قاعة أو غني الأقل بعض بيوت من الزجاج مملوءة من هذه البقايا.